جامعة منوبة
كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات

وحدة البحث
المصطلح الدّلالي

أعمال النّدوة المهداة
إلى روح الأستاذ
عبد الله صولة

الدّلالة
النّظريّات والتّطبيقات

جمع النصوص وراجعها وقدّم لها :
الأستاذ خالد ميلاد

تونس 2015

الجهة الوثوقية، قيمها
ووسائل تحققها في العربيّة

عبد العزيز المسعودي

1 – تقديم عام :

الوثوقية Evidentiality (1) في التعريف الشائع مقولة دلالية وظيفتها الإحالة على مصدر المعلومات التي يتضمّنها القول. ويجمع اللسانيّون على حداثتها مقارنة بمقولات لسانية أخرى مثل المظهر النحوي Aspect والمظهر المعجمي Aksionsart والمعاني الجهية Modality. ومنذ أن ذاع المصطلح أول مرّة عند ياكبسون (1957) تنقل في دوائر علمية مختلفة وعرفت المقولة اهتماما تزايد بصفة تدريجية (Kehayov,2008a :20) خاصة في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وفي العقد الأول من القرن الحالي.

تناول اللسانيون الوثوقية إمّا بصفة شبه عرضية ضمن دراسة المعاني الجهية (Palmer, 2001 ; Givon, 2001)، وإمّا في دراسات مستقلّة من أشهرها في الثمانينات المقالات التي نشرها شايف ونيكولز Shafe & Nichols (1986) . لكنّ البحث لم يصبح محلّ اهتمام

(1) نقترح مصطلح وثوقية لتعريب Evidentiality بناء على استعمال مادة وثق في وصف مصدر الإفادة حيث يقال مصدر موثوق به وأنا واثق منه وهو من الثقات... على أنّ الوثوقية في الاصطلاح اللساني تدلّ على مصدر المعلومات بصرف النظر عن درجات اليقين لأنها تمثل المضمون الدلالي للجهة المعرفية وهي جهة قريبة متصوريا من الجهة الوثوقية.

كبير عند اللسانيين إلا في أواخر التسعينات وبالخصوص في السنوات الأخيرة إثر صدور مجموعة من البحوث عن الوثوقيات Evidentials في اللغات التركية والإيرانية واللغات المحلية ومنها العربية والعبرية لـ Johnson Utas (2000) وبعد نشر أطروحة فالر Faller (2002) بمقاربتها الدلالية التداولية للوثوقيات في الكوسكو كيشوا .. Cusco Quechua (2) .. وصدور "دراسات في الوثوقية" Studies in Evidentiality لألكسندرا أيخنفالد Aikhenvald وديكسون Dixon (2003) وبالخصوص صدور الدراسة التنميطية الشهيرة للوثوقية النحوية لأيخنفالد: "الوثوقية" Evidentiality (2004)....

ما يهمّنا بصفة مباشرة في هذا الفصل هو استكشاف الخلفية اللسانية لهذه المقولة وتعريف القارئ العربي بما تمّ تحديد القيم الوثوقية والتعرف على الوسائل اللغوية المعبّرة عن النظام الوثوقي في العربية. وقد رأينا قبل الخوض في تحديد الخصائص اللسانية للمقولة في اللغة العربية أن نشير سريعا إلى ملامح المتصوّر الذي يحيلنا عليه مصطلح الوثوقية، وأن نعرف بالأنظمة الوثوقية في اللغات الأجنبية مستفيدين من النتائج التي حققتها اللسانيات التنميطية في هذا المجال.

2 – تحديد المتصوّر الوثوقيّ :

لا شكّ أنّ مصطلح الوثوقية حديث نسبيا وأنّ المقولة معروفة منذ عقود في أوساط المختصين في اللسانيات الأمريكية. لكنّ المتصور يبدو أقدم من ذلك إذ ثبت أنّ بواس Boas Franz استعمل مصطلح وثوقي evidential سنة 1911 لكنّ كتابه لم ينشر بعد وفاته إلا سنة 1947 (Ifantidou, 2001 :2). بل يذهب فريدمان (Friedman,2003 :99) إلى أنّ وصف الظاهرة أقدم من ذلك بكثير وهو يرجعه إلى الكاشغري (ت 1121م) حيث ميّز في كتاب

(2) هي اللغة الرسمية في البيرو وبوليفيا وهي كذلك مستعملة في الإكوادور.. لم يثبت لها علماء اللسان قرابة بغيرها من اللغات.

"ديوان لغات الترك" (3) بين اللاحقتين – مش miş و دي di، الأولى تلحق بالفعل فتدلّ صيغته على ما يسمّى في النحو التركي "الماضي النقلي" mazi nakli والثانية تدلّ على "الماضي الشهودي" mazi şuhudi . مثلا إذا قال أحدهم باللغة التركية bardi فالمعنى المقصود هو 'ذهب ورأيته ذاهبا' وإذا قال: kälmiş فالمعنى هو 'جاء لكنني لم أره' (4).

إذن المتصوّر قديم يعود على الأقلّ إلى القرن الخامس للهجرة وهو على الأرجح معروف في أنحاء اللغات التركية والبلقانية قبل هذا التاريخ. ورغم ذلك يعتبر المتصوّر حديثا في اللسانيات بدليل اختلاف اللسانيين في تحديده وانقسامهم فريقين، أحدهما يتبنّى تعريفا مضيّقا والآخر يتبنّى تعريفا موسّعا.

من التعريفات المضيّقة تعريف ياكوبسون للوثوقيات باعتبارها وسما مزعوما لمصدر المعلومات (Mushin,2001 :18). أو هي عند بايي (Bybee,1985 :184) واسمات تدلّ على شيء ما له صلة بمصدر المعلومات الواردة في القضيّة (5). وعند أيخنفالد (2004) الوثوقية مقولة نحوية تدلّ على مصدر المعلومات.

غير أنّ هذا النوع من التعريفات يبدو لبعض الباحثين أمثال شايف ونيكولز (1986) تعريفا مضيّقا لا يعكس حقيقة للقولة في واقع الاستعمال، لذلك يقترحان متصوّرا أكثر اتساعا يشمل إلى جانب سمة الدلالة على مصدر المعلومات سمة ثانية هي الحكم المعرفي الذي يتبناه المتكلّم والحجة في ذلك أنّ تحديد مصدر الخبر يعكس بالضرورة موقف المتكلم من المعرفة التي ضمّنها في الملفوظ. وبالتالي يصعب فصل الدلالة الوثوقية عن الدلالة المعرفية (Mushin,2001 :17).

(3) هو كتاب في اللغة (معجم) ألفه الكاشغري ثالبة سنة 466 هـ ووجهه لتعليم العرب اللغة التركية في العصر العباسي .وهو يقع في ثلاثة مجلدات طبعت في تركيا سنة 1333 للهجرة.

(4) هذه الأمثلة أخذها فريدمان عن دانكوف (1982) Dankoff.

(5) Evidentials maybe generally defined as markers that indicate something about the source of the information in the proposition.

هذا الاختلاف في تحديد المنصور تترتب عنه اختلافات في المقاربات اللسانية للظاهرة، وبالخصوص في تصنيف المعاني الجهية وضبط الحدود بين المقولتين المعرفية والوثوقية (لمحاولتنا توضيح ذلك في بحث مستقل).

3- القيمة اللسانية والاجتماعية للجهة الوثوقية :

يقترن الواسم الوثوقي في عديد اللغات الأمريندية والبلقانية والقوقازية بتصريف الفعل وقد يدلّ بصفة تأليفية على الزمن ومصدر للمعلومات كما رأينا في التركية. وهو ما يعني أنّ الوثوقية مقولة نحوية في تلك اللغات تظهر بصفة إجبارية في الجملة. أمّا في العربية فإن تحديد مصدر معلوماتنا في كل جملة نتلفظ بها قد يبدو – بحكم تقاليدنا الاجتماعية واللسانية – نوعا من الحشو لا داعي له، سيما وأنّ للمخاطب يستطيع استلزاما أن يستنتج طبيعة تلك المصادر من السياق الخطابي أو المقامي، بل إنّ الإفراط في الاهتمام بالمصدر وتحديد نوع الحاسة التي تلقينا بها المعلومات قد يكون مصدر توتر بين المتخاطبين ويدلّ على وجود أزمة ثقة بينهما.

إنّ الأمر مختلف تماما عند الشعوب التي تتكلم لغات ذات نظام وثوقي نحوي لأنّ تحديد مصادر المعلومات وكيفية حصول المتكلم عليها يعدّ أمرا ضروريا واستعمال الواسمات الوثوقية المناسبة يعدّ أمرا إجبارياً . وهو لا يعكس فقط استعمالا معياريا للغة وإنّما من شأنه أن يجنّب المتخاطبين حالات كثيرة من الإحراج وسوء التفاهم، بل قد يجنّبهم التصادم الثقافي إذا كان أحد الطرفيْن لا ينتمي إلى تلك المجتمعات المحلية.

إنّ الاحتكاك الثقافي واللساني مع بعض الشعوب يدلّنا على أهمية مصدر للمعلومات بالنسبة إليهم. مثلا يعتبر متكلمو الأيمارا Aymara (بوليفيا) بالفطرة الأجانب الذين يتكلمون الاسبانية غير جديرين بالثقة ، كما يعتبرون كلام الذين يتعلمون ، الأيمارا ويهملون استعمال النظام الوثوقي، كذبا محضا. ومن لا يستعمل الوثوقيات استعمالا سليما هو في نظر الجاقي Jaqi (البيرو) ليس أهلا للتواصل معه (Aikhenvald,2004 :335-336). وفي

تساڤيكي Tsafiki (6) لا تطلق صفة الكذاب nene pum على من يتعمّد الكذب فحسب وإنما تطلق كذلك على كلّ من أساء استخدام النظام الوثوقي في كلامه . وفي الطاريانا Tariana (7) يمكن أن يوصف المتعثر في استعمال الوثوقيات evidentials، بالفعل ouihta ومعناه "لا يعقل" أو "لا يفكر" أي أحمق (نفسه، 339)...

إنّ إبداء للنظومة الوثوقية لدى هذه الشعوب دليل لسانيّ على تجذرها في البنية الذهنية والنفسية للأفراد. ومن الأدلّة على ذلك أنّ متكلّمي التوكانو والطاريانا الذين تعلّموا اللغة البرتغالية واصلوا الحفاظ على نفس الاهتمام بمصدر معلوماتهم وباستعمال الوثوقيات وهو ما لا نجده لدى متكلّمي البرتغالية بالفطرة. (نفسه).

هذا الوضع النفسي اللسانيّ الخاص قد خلق نوعا من "المحافظة الثقافية" لدى هذه الشعوب وجعلها ميّالة إلى تكذيب المعلومات الواردة في الكتب غير مرفقة بتحديد مصدر المعلومات. فمثلا ملفوظ من قبيل "اكتشف كريستوف كولومب أمريكا" يواجه بالإنكار أو بالقول مثلا : "هل كان الكاتب حاضرا؟". وإذا قال مبشّر في سياق غير تقليّ : "لقد أكل آدم من التفاحة المحرّمة" فمن المتوقع أن يقال له: هل كنت حاضرا في جنات عدن؟ لكنّهم في المقابل يصدّقون كهنتهم وأطبّائهم من السحرة عندما يستعملون الوثوقيات البصرية المباشرة لأنّهم – حسب معتقداتهم – يرون ما لا يراه غيرهم. (نفسه، 348). وبالتالي إنّ إنكار الملفوظات غير المقيّدة بلفاظم وثوقية ليس علامة على التحرّي الموضوعي عند هذه المجموعات اللسانية وإنما هو سلوك طبيعي تحكمه نواميس ثقافية وبيئية معيّنة. فالإنسان الذي يعيش في أدغال كثيفة الأشجار مثل أدغال الأمازون غير الذي يعيش في صحراء متكشفة وهذا ممّا قد يفسّر الاهتمام الخاص عند تلك الشعوب بتحديد الحاسة التي تلقى بها المعلومات ولا سيما حاستيّ السمع والبصر.

(6) لغة مستعملة في الجهة الشرقية من جبال الأند Andes
(7) مستعملة في أمريكا الجنوبية في شمال الأراواك Arawak وفي الكاراييب.

من الطريف في تلك اللغات أيضا وسمها للأحلام بوثوقيات مختلفة. مثلا الأمدو Amdo (التبت) تسم للمعلومات المتأتية من الحلم بوثوقيات غير مباشرة. والوانكا كيشوا Wanka Quechua (البيرو) تعبّر عنها بوثوقيات مباشرة فكأنّها تعدّها جزءا من التجربة الواقعية اليومية. والتيوكا (كولومبيا) تمثل الأحلام بوثوقيات بصرية بينما التوكانو (غربي أمازونيا..) تمثلها بلفاظم غير بصرية (1):

(1)

Ni'kaa yami- re mi'i –re k e'e a si
Today night –TOP-NOM.A/S you –TOP-NOM.A/S dream-REC.P.NONVIS nonthird.p.

منقض. غائب غير بصري .منقض. تفاعلي– حلم فاعل غ متعدّ/ متعد.مرفوع– بؤرة– أنت فاعل غ متعدّ/ متعد.مرفوع– بؤرة– البارحة

'last night I dreamt of you'(NON-VISUAL) (Aikhenvald,2004:347)

'رأيتك البارحة في المنام'

هذا التباين بين اللغات ذات الوثوقية النحوية في اختيار القيم الوثوقية وفي تحديد قنوات الوصول إلى المعلومة يفسّر بالتأويلات المختلفة عند تلك الشعوب لعلاقة الحلم بالواقع، ولعلائقه بالحواس ولا سيما حاسة البصر.

يمكن أن نختم هذا العنصر بتقديم أمثلة من الشيبيبو– كونيبو Shipibo –Konibo (البرازيل ، البيرو)عن كيفية تعامل هذا الشعب مع المعلومات المتأتية من وسائل تقنية حديثة مثل الخرائط ووسائل الإعلام (Valenzuela,2003:53–52) وبالتالي كيفية مواكبة النظام النحوي للواقع الثقافي الجديد (2-4) :

(2)

Penal r-Ki
Penalty: ABS DIR.EV-COP

رابطة – وثوقية مباشرة .مقولة إعرابيّة :هدف

'It is a penalty.'(I am watching it on television)

'هدف' (إنّي أشاهد ذلك على شاشة التلفزة).

(3)

Penal- Ronki iki
Penalty:ABS –REP COP

رابطة وثوقية نقلية — مقولة إعرابية :هدف

'It is a penalty.'(I am hearing it on the radio)

'هدف' (إنّي أسمع إلى ذلك من الإذاعة).

(4)

Alemania-ra Holanda patax iki
Germany :ABS-DtR.EV the. Netherlands next. To COP

رابطة بجانب هولاندا وثوقية مباشرة — مقولة إعرابية : ألمانيا

Germany is next to the Netherlands (I saw it on a map)

ألمانيا بجانب هولاندا (رأيت ذلك على الخريطة).

الملاحظ في هذه اللغة هو توظيفها لنفس الفاظم التي كانت تستعمل للقيم الوثوقية التقليدية. مثلا ronki يستعمل في الأصل للوثوقية غير المباشرة والإذاعة في المثال (3) تصنّف من ضمنها وكذلك الكتب. واللاحقة r أو ra- تستعمل في الأصل للوثوقية البصرية وأصبحت تستعمل كذلك للتلفزة (2) والوثائق المكتوبة مثل الخرائط (4) لأنها لا تختلف عن المشاهدة المباشرة للحدث. وعلى هذا المنوال استطاعت تلك اللغات مواكبة المحدّثات التكنولوجية بنظامها النحوي التقليدي. وهو ما يؤكّد تجذّر ذلك النظام النحويّ في المنظومتين الذهنية والثقافية.

4– أصناف الأنظمة الوثوقية :

تختلف أنظمة القيم الوثوقية ضمن اللغات التي يوجد فيها وسم نحويّ للمقولة. وتتلخص تلك القيم في ما يلي: يكون الوثوق مباشرا إذا كان مصدره للتكلم وكانت قناة الإدراك حسّية عن طريق السمع أو البصر. ويكون مصدر المعلومة غير مباشر عن طريق الاستلزام inference، أو بواسطة السماع أي بنقل للمعلومة عن طرف آخر. هذه القيم

الوثوقية لا تتوفر كلها بالضرورة في النظام اللساني الواحد وإنما يمكن أن توسم قيمة واحدة أو أكثر من تلك القيم ويقع تمييزها عما سواها. وتصنف أيخنفالد الأنظمة الوثوقية حسب أنواع المصادر والأدلة المعتمدة في تقديم المعلومات إلى صنفين كبيرين (صنف I وصنف II) :

الصنف I يشير إلى وجود مصدر للمعلومات لكنّ المتكلم لا يحدّد طبيعته. ويُفترض في هذه الحالة أنّ المعلومة قد وقع تلقيها بصفة غير مباشرة عن طريق واسطة. لذلك يطلق جوهانسن Johanson على هذا النوع من الوثوقية مصطلح indirectivity (= Aikhenvald&Dixon,2003 :274) ويمكن تمثيل هذا النظام من خلال استعمال التركية للاحقة muş :

(5)

Eşek öl- üyor-muş
The donkey is / was obviously dying.
من الواضح أنّ الحمار يلفق

(Johanson, 2003:274)

الصنف II: يتفرّع إلى أنظمة ثنائية وثلاثية ورباعية. وكلّ نظام منها يتنوّع بتنوع المقولات الوثوقية المتقابلة. وقد رأينا، بداعي الاختصار، أن نكتفي بمثال واحد لتوضيح كلّ نظام. فالنظام الثنائي نوضحه بمثال من الجراوارا Jarawara في (أ1) والنظام الثلاثي يوضحه مثال من الكيشوا (ب1) والنظام الرباعي يوضحه مثال من الطاريانا Tariana (ج1) وفي ما يلي عرض للأنظمة الوثوقية المختلفة كما صنفتها أيخنفالد (2003) :

أ1: تتقابل في هذا النظام الفرعي الثنائي وثوقية المعاينة أو المشاهدة visual مع وثوقية عدم المعاينة nonvisual وتقترن المقولة الوثوقية عادة مع الزمن الماضي كما هو الشأن بالنسبة إلى المثال (6) من الجراوارا Jarawara :

(6)

Were s kisa- me-no
Name (m) get.down -back-1pnm

مذكر عدم معاينة ماض قريب– نزل اسم علم (مذ)

'Were got down from his hammock (which I didn't see)

نزل ويرو من أرجوحته الشبكية (وهو ما لم أره)

Ka –me-<u>hiri</u>-ka

Be. in. motion-BACK-RPem- DECLm

مذكر تقرير– مذكر معاينة ماض بعيد– حركة .في .فعل وجود

'And went out' (which I did see)

ثم خرج (وهو ما رأيته) (Dixon, in Aihenvald, 2003: 169)

أ2 : يقوم هذا النظام على المعرفة غير المباشرة NONFIRSTHAND أي الحاصلة بالاستلزام انطلاقا من آثار بصرية أو أقوال منقولة . وهي تتقابل مع سائر مصادر الإفادة الأخرى. ومن اللغات المحتسبة لهذا النظام الأبخازية واللغات القوقازية الشمالية .

أ3 : يتقابل المنقول (المسموع) مع بقية المصادر الأخرى. وهذا النظام يعدّ الأكثر انتشارا حسب أيخنفالد. من أمثلة الوسم الصرفي لهذه المقولة في اللزجيان Lezgian (من اللغات القوقازية) إخاء العبارة luhuda ومعناها في الأصل 'قال أحدهم' وتحويلها إلى واسم صرفي للحكاية بعد اختزاله صوتيا -lda (Haspelmath, 1998, AiKenvald, 2003 :4). ويبدو لنا أنّ العربية تنتمي إلى هذا النوع من الأنظمة الوثوقية وإنْ اختلفت عن اللغات المذكورة من حيث طبيعة الوسائل اللسانية (نوضّح هذا الرأي في عنصر الحكاية).

أمّا الأنظمة الوثوقية ثلاثيّة الأطراف فهي تضمّ على الأقل خصّصا حسّيًا واحدا يكون بصريًا أو سمعيًا. وتصنّفها أيخنفالد ثلاثة أصناف:

ب1: يكون فيه مصدر الإفادة بصريا (مباشرا) أو نقليّا reported أو استلزاميا inferred. ويمكن التمثيل لهذا النظام بالكيشوا Quechua حيث نجد ثلاث لواحق وثوقية هي: -mi يستعملها المتكلم إذا شاهد الوقائع بأمّ عينه (7)، و -si إذا بلغته المعلومات عن طريق الرواية (8)، و -chá إذا توصّل إليها عن طريق الأدلّة الاستلزامية (9) (McCready,2010 :108؛ Faller, 2002 :170):

(7)

Para- sha –n-mi
Rain-PROG-3-MI
'It is raining +speaker sees that it is raining'
المطر ينزل + المتكلم يرى المطر وهو ينزل

(8)

Para- sha –n-si
Rain-PROG-3-SI
واسم وثوقي–ضمير غائب– تدريجي– مطر
'It is raining +speaker was told that it is raining'
المطر ينزل + تناهى إلى سمع المتكلم خبر نزول المطر "

(9)

Para- sha –n-chá Rain-PROG -3PS- CHÁ
وثوقية – ضمير الغائب – تدريجي –مطر

"It may/must be raining +speaker conjectures that it is raining based on some sort of inferential evidence.
يُمكن/لا بدّ أنّ المطر ينزل+ حدس المتكلم بذلك اعتمادا على بعض الأدلّة الاستلزامية

ب2: يكون التقابل بين ثلاث قنوات هي: حاسّة البصر وحاسة أخرى غير بصرية، وطريقة الاستلزام. من اللغات التي تنتمي إلى هذا النظام الواشو Washo (النيفادا..).

ب3: تتقابل حاسّة غير بصرية مع الاستدلال والنقل .وهذا نظام لغات منها الريتوران Retuarã (لغة توكانوية...) والبومو الشمالية Pomo (كاليفورنيا..) ...

أمّا الأنظمة الرباعية فهي تشتمل على تخصيص حسيّ واحد على الأقل، وتتفرّع إلى أربعة أنواع:

ج1 : يكون التقابل بين المصدر البصري (أو المباشر) والحسّي غير البصري والاستلزامي والنقلي. يوجد هذا النظام في عدد من اللغات التوكانوية Tukanoan ويوجد في الطاريانا Tariana. ومنها تسوق أيخنفالد (in Aikhenvald&Dixon,2003 :134-135) أمثلة عديدة نذكر منها الأمثلة (10-13) وهي تجسم أربعة أنواع مختلفة من الوثوقيات:

Ceci tʃiunu-nuku du- kwisa- ka (10)
Cecilia dog -TOP.NON.A/S 3SGF-scold-REC.P.VIS

بصري.منقض.صيغة تفاعل– وبّخ– غا مف مؤ. فاعل.لازم. تبئير– كلب سيسيليا

'Cecilia scolded the dog' (I saw it :VISUAL).

وبّخت سيسيليا الكلب (رأيت ذلك: وثوقية بصرية)

Ceci tʃiunu-nuku du- kwisa-mahka (11)
Cecilia dog -TOP.NON.A/S 3SGF-scold-REC.P.NONVIS

غير بصري.منقض.صيغة تفاعل– وبّخ– غا مف مؤ. فاعل.لازم. تبئير– كلب سيسيليا

'Cecilia scolded the dog'(I heard it :NONVISUAL).

وبّخت سيسيليا الكلب (سمعت ذلك: وثوقية غير بصرية)

Ceci tʃiunu-nuku du- kwisa-sika (12)
Cecilia dog -TOP.NON.A/S 3SGF-scold-REC.P.INFR

استلزام. منقض. صيغة تفاعل– وبّخ– غا مف مؤ. فاعل.لازم. تبئير– كلب سيسيليا

'Cecilia scolded the dog'(I saw it :NONVISUAL).

وبّخت سيسيليا الكلب (استنتجت ذلك: وثوقية استلزامية)

Ceci tʃiunu-nuku du- kwisa-pidaka (13)
Cecilia dog -TOP.NON.A/S 3SGF-scold-REC.P.REP

نقل.منقض.صيغة تفاعل– وبّخ– غا مف مؤ. فاعل.لازم. تبئير– كلب سيسيليا

'Cecilia scolded the dog'(I have learnt it from someone else : REPORTED).

وبّخت سيسيليا الكلب (علمت ذلك من أحدهم: وثوقية نقلية).

اشتركت الأمثلة (10-13) في التعبير عن المعلومات أو القضية (توبيخ سيسيليا لكلبها) لكنّها تقابلت في مستوى الجدول الوثوقيّ فكان مصدر المعلومة بصريا (10) وسمعيا (11) وغير مباشر عن طريق الاستلزام (12) أو عن طريق الحكاية (13).

ج2 : يكون التقابل في هذا الصنف بين : البصري والاستلزامي (1) والاستلزامي (2) والمنقول. من أمثلة ذلك نظام التسافيكي Tsafiki وفيه تكون الوثوقية البصرية غير موسومة لغظيا وفي المقابل يقع التمييز بين الاستلزام (1) انطلاقا من الأدلة المادية والاستلزام (2) انطلاقا من المعارف العامّة.

ج3: يقوم هذا النظام على التقابل بين الحسّي غير البصري والاستلزامي (1) والاستلزامي (2) والمنقول ومن أمثلته ما يوجد في الويتو Wintu (شمال كاليفورنيا).

ج4: يقوم هذا النوع من الأنظمة على التقابل بين البصري والاستلزامي والمنقول (1) والمنقول (2). والتمييز بين نوعي النقل في هذا النظام تختلف عمّا هو موجود في (ج 3) لأنّه يكون حسب وجود معرفة مسبقة بمصدر الخبر أو حسب انعدامها. وهذا النظام موجود في التيبيهوان Tepehuan من اللغات الأوتو-أزتيكية Uto-Aztecan (شمال المكسيك) (Aikhenvald,2004 :25-, AiKhenvald,2003 :3-6).

غايتنا من استعراض هذه الأنظمة هي أن نقدّم للقارئ العربي صورة أشمل عن هذا النوع من المعاني الجهية وتحديدا عن القيم الوثوقية في عائلات لغوية مختلفة .وهذا من شأنه أن يساعدنا على تحديد موقع اللغة العربية ضمن التصنيف التنميطي Typological للغات العالم (§ العنصر الموالي :والخاتمة).

3 – 1. الوثوقية النحوية والوثوقية المعجمية :

يبدو أنّ الوثوقية من المقولات الكلّية لأنّ المعاني الدالة على مصدر المعلومات لا يكاد يخلو منها لسان من الألسنة البشرية لكنّ الفرق بين تلك الألسن كامن في اختلاف طرق وسمها لفظيا وفي اختلاف نصيبها من الدرس اللساني. الشق الأول من اللغات التي حظيت أكثر بالدرس إلى حدّ الآن هي اللغات التي تستعمل وسائل نحوية في التعبير عن المعاني الوثوقية مثل اللغات البلقانية أي البلغارية والمقدونية والصقلبية والألبانية. وبعض لغات منطقة البلطيق مثل الإستونية والليتوانية، وخاصة اللغات الأمرندية مثل الكيشوا Quechua والكوزاتي (*) Koasati والتويوكا Tuyuka (*)...

تتنوّع الوسائل النحوية المستعملة في وسم المعاني الوثوقية وأبرزها الحروف والأدوات والضمائر واللواحق التابعة أو الصرائم، مثلا في التويوكا Tuyuka مختص وثوقي بصري يعبّر

(8) من لغات هنود أمريكا تتكلمها قبيلة الكوشاتا Coushatta المقيمة في لويزيانا وكذلك قبيلة ألتون Elton في الولايات المتحدة الأمريكية.

(9) لغة أمرندية تتكلمها قبيلة تحمل نفس الاسم موطنها في إحدى ولايات كولمبيا المتاخمة للأمازون.

ـه بالصرفم wi وفي الكوزاني يعتبر الصرفم ha مختصا سمعيا (Kehayov,2008a :20)»

ـستعمل te في الكورية لوسم الإدراك البصري (14) :

Ku tangsi john-i ce cip-ey sal-te-la (14)

That time John-NOM that house-LOC live-S.PAST-DEC
'[I saw] John was living in that house that time'(Kyung-Sook:2006,106)

[رأيت] كان جون حينئذ يسكن في ذلك المنزل.

ـا الملفظم ess–te فيستعمل لوسم الوثوق الاستلزامي:

John-i pheyenci- lul ssu-ess-te-la (15)
John-NOM letter-ACC write-PFCT-S.PAST-DEC
'[I inferred] John wrote a/ the letter'. Or 'John apparently wrote a/the letter'. (Kyung-Sook,2006 :106)

[استنتج أنّ] جون قد كتب رسالة /الرسالة.

إذن تعتمد الكورية على الوسائل النحوية للتمييز بين البصري والاستلزامي وتعتمد اللغات الأمريندية كما رأينا سابقا (الأمثلة 10–13) على اللواحق بصفة خاصة في التمييز بين مختلف القيم الوثوقية.

تجدر الإشارة كذلك إلى نوع خاص من الوسم النحوي للمقولة الوثوقية في الليتوانية متمثل في الوسم التركيبي للمعاني الوثوقية حيث يتغير الواحد منها بتغير التركيب وذلك في غياب أي لفظم معجمي أو نحوي يحمل الدلالة الوثوقية (Gronemeyer, 1997).

3 – 2. الوثوقية المعجمية :

بدأ الاهتمام في السنوات الأخيرة يتوجه تدريجيا إلى الأنظمة الوثوقية الموسومة معجميا. وهذه الأنظمة لم تكترث بها أيخنفالد لأسباب منهجية اقتضتها– على الأرجح– المقاربة التنميطية Typologique وما تستدعيه من مقارنات تكون أيسر وأدق مع الأنظمة الوثوقية النحوية حيث تكون الظواهر أكثر اطرادا والواسمات اللسانية منحصرة في مجموعات مغلقة.

ما نستنتجه من إحصاء أيخنفالد القائل بأنّ ربع لغات العالم ذات نظام وثوقي هو أنّ أغلب لغات العالم تعبّر عن المعاني الوثوقية بوسائل معجمية ومن أبرز اللغات التي بدأت تحظى فيها الوثوقية المعجمية بالدرس نذكر اللغة الصينية والانقليزية واللغات الرومانية romanes مثل الفرنسية والإسبانية والإيطالية. وما تبيّنه أيضا من تلك الدراسات هي الأنظمة الوثوقية المعجمية أنّ بعض المفولات المعجمية تحظى بالأولوية وتبدو أكثر استعمالا من غيرها. فالواسمات الطرازية في الانقليزية هي الردائف أو الظروف adverbs مثل ...allegedly, reportedly وهي في الفرنسية الأفعال مثل paraitre penser sembler devoir وهذا ما تبيّنه بمقارنة سريعة بين طرق الوسم اللفظي لنفس المعنى الوثوقي في اللغتين الفرنسية والانقليزية (16أ– ب):

(16)

أ– Il parait que /Il semble que les combats ont été violents.

ب– Allegedly the battles were fierce.(Dendale &Bogart, 2007 :77

يعبّر المثالان عن نفس المعنى الوثوقي بوسائل معجمية تنتمي إلى مقولة الأفعال في الفرنسية (12أ) وإلى مقولة الردائف في الانقليزية (12ب) وهذا يعني أنّ كلّ لغة تفضّل وسائل معجمية على أخرى.

هذه المقارنات السريعة بين أنظمة القيم الوثوقية وأنظمة وسمها لفظيّا في عائلات لغوية مختلفة قد يساعدنا على الاهتداء إلى خصوصيات الجهة الوثوقية في العربية.

4 – خصائص النظام الوثوقي في العربية :

نفترض في هذا البحث أنّ أشكال الوسم الوثوقي في العربية لا تندرج بصفة واضحة ضمن أيّ من النمطين السابقين. فالعربية في تقديرنا لا تعبّر عن المعاني الوثوقية بوسائل نحوية فحسب ولا بوسائل معجمية فحسب وإنّما تنتمي – في تقديرنا– إلى نظام وسم لفظي

تختلط تتضافر فيه الوسائل المعجمية مع الوسائل النحوية لتمثيل المعاني الوثوقية بواسطة أنساق patterns معجمية تركيبية.

نسلّم إذن – بناء على ما قمنا به من سبر أوّلي لمعطيات اللسان العربي– بأنّ وسائل الوسم الوثوقي تتشكل كما أسلفنا في أنساق معجمية تركيبية تحاول استجلاء ملامحها من خلال نماذج من أفعال القول وأفعال القلوب والأفعال العرفانية. ومن خلال توارد تلك الأفعال مع جملة من الوسائل النحوية أهمّها ضمير للتكلم ومقولة البناء والأداتين الإثباتيتين [إنّ] و [أنّ].

قبل استكشاف هذه الأنساق، رأينا من المستحسن أن نتوقف أولا عند الأداتين الإثباتيتين [إنّ] و [أنّ] لتوضيح علاقتهما بالمقولة الوثوقية .أمّا بقية العناصر النحوية الأخرى المشار إليها سابقا فسنبرز دورها في تمثيل المعاني الوثوقية أثناء تحليل شواهد مستمدّة من بعض النصوص التراثية مثل الكامل في اللغة والأدب للمبرد و طوق الحمامة لابن حزم والبعض من آثار ابن المقفع.

4 – 1. [إنّ] و [أنّ] ودورهما في الوسم الوثوقي.

افترضنا في بحث منفصل أنّ لمجموعة الأدوات {إنّ،أنّ،إنْ،أنْ} دورا أساسيّا في وسم مقولة المعاني الجهية Modality في العربية وذلك بعد أن رصدنا في مستوى أول التقابل بين المجموعة [ء...ن] (10) ذات النون المشدّدة (أي إنّ و أنّ) باعتبارها من الواسمات اللفظية لقيمة الواجب، والمجموعة ذات النون المخففة [إن أنْ] باعتبارها واسمة لقيمة الإمكان. وفي مستوى ثان لاحظنا التقابل في مستوى حركة الهمزة بين [إنْ] الإمكانية الشرطية (11) و[أنْ] الإمكانية غير الشرطية، كما لاحظنا التقابل بين [أنّ] المعرفية من ناحية وما سمّيناه [إنّ] الوثوقية من ناحية ثانية. وقد حاولنا في كلّ ذلك أن نثبت وجود شكل واضح من أشكال

(10) نقترح الرمز [ء...ن] الذي استعمله الشريف (2002) في الإحالة على ما يسميه المجموعة الإنشائية {إن إن أن أن}.

(11) سبق أن لاحظنا في بحث خاص بالوسم اللفظي للمعاني الجهية أنّ بعض اللسانيين يعتبرون الشرط conditional من المعاني الجهية

الإخبار لمقوله المعاني الجهية في العربية إلى جانب مظاهر وسمها معجميا بواسطة الأفعال على وجه الخصوص.

ما يهمنا في هذا المجال هو دور الأداتين [إنّ] و [أنّ] في وسم الدلالة الوثوقية:

لا تدلّ [أنّ] على الوثوقية بصفة مباشرة وإنما تدلّ عليها استتباعا لدلالتها على الجهة المعرفية ونتيجة لتفاعلها مع عناصر نحوية ومعجمية تحمل قوّة اعتقادية عالية، مثل أفعال القول وأفعال القلوب. وتلك القوّة الاعتقادية تستلزم وجود دلالة وثوقية (§4- 2).

أمّا [إنّ] فهي تتصدّر الجملة الاسمية ويعتبرها النحاة من نواسخ الابتداء ويعتبرها بعض المحدثين تعجيما لمجرّ الحدث الإنشائي (الشريف 2002) أو لموضع اعتقاد المتكلم أو موضع الإفادة (ميلاد 2001) وإذا سلّمنا بأنّ المعنى الإنشائي لـ[إنّ] هو "أثبت" أو "حققت وأكدت" كما يقول الأستراباذي (ش. الكافية،331:IV) برز لنا حينئذ الدور الوثوقي للمتكلم باعتباره مصدرا مباشرا للإفادة يتحمّل مسؤولية القول الذي تعبّر عنه الجملة. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الأداة [إنّ] واسما لفظيا للوثوقية ينتمي إلى النسق : *إنّ+ ج اسمية*. وما سنركّز عليه اهتمامنا في هذا الفصل هو تفاعل [إنّ] مع أفعال القول وعلاقة ذلك بالوثوقية المباشرة وغير المباشرة (§ 4-2). أي إنّ تأويلنا الإنشائي لـ [إنّ] باعتبارها وسما حرفيا لجملة العمل في القول illocutionary [أثبت] يستلزم بالضرورة حضور المتكلم في البنية اللسانية وفي المقام باعتباره مصدرا للمعلومات. وهذا مبرّر كاف لاعتبار [إنّ] واسما لفظيا للوثوقية المباشرة يتقابل مع [إنّ] مسبوقة بفعل القول باعتبارها واسما نحويا للوثوقية غير المباشرة أو ما يسمى في التراث النحوي بالحكاية.

لئن كانت [إنّ] في العربية أداة لإنشاء التقرير الإتباثي من قبل المتكلم الحاضر ضمنيا في الخطاب فإنّ الجمل المماثلة في لغة مثل الشيبيو- كونيبو Shipibo-Konibo (12) تقتضي وجوبا استعمال العنصر الصرفي ra أو-n إذا توارد مع الرابطة iki- وذلك للتعبير عن الوثوق

(12) لغة تتكلمها قبائل صغيرة تعيش في مناطق الأمازون التابعة للبيرو.

المتكلم وهو ما يعني أنّ حضور المتكلم في المقام يقع تمثيله لفظيا بواسطة واسم وثوقي مفاده أن المتكلم طرف في الحدث أو ملاحظ له أو أنه مصدر معرفة واعتقاد (17):

(17)

Nokon jane r-iki inkan Soi
POSS1 name DIR.FV-COP Inkan Soi

سوي إنكان رَابطة– وثوقية مباشرة اسم ضمير الملكية متكلم

'My name is Inkan Soi'

'اسمي [هو] إنكان سوي' (Aikhenvald &Dixon,2003 :35)

لا يحيل المتكلم على نفسه – في العربية واللغات الأوروبية– باعتباره مصدرا المعلومات لأنّ هذا النوع من المعلومات يكون ضمنيا استلزاميا بخلاف ما هو موجود في بعض اللغات ذات الوثوقية النحوية حيث يكون لهذه المقولة الدلالية واسم لفظي صريح. هذا الواسم الإخباري قد يبدو لنا نوعا من الحشو وهو خلاف ذلك لأسباب لسانية وثقافية – وضّحناها سابقا (§ العنصر 3)– تقتضي من المتكلم أن ينص بصفة صريحة على مصدر المعلومة.

4 – 2. الأنساق الوثوقية المصدّرة بأفعال القول :

إذا اعتبرنا *قال* أمّا لأفعال القول بصرف النظر عن مقولات التصريف ، وإذا اعتبرنا *لكنّ* أداة إنشائية سياقها التركيبي الدلالي الخاصّ أمكننا الحديث عن نسق عامّ يتكوّن من فعل القول متبوعا بـ *إنّ* أو *أنّ* مع متعلقاتهما .وإذا اعتبرنا الأداة الإنشائية عنصرا مفيدا ميّزنا بين النسقين (I) و(II):

(I) قال + إنّ + قضية (13) (نص)

(II) قال + أنّ + قضية

يمكن أن يتحقّق هذان النسقان في نماذج من الاستعمال مثل:

1- قال الحجاج لرجل من الخوارج: واللهِ إنّي لأبغضكم. (الكامل، 2: 431)

2- قال الحجاج أنّه يُبغض الخوارج.

(13) أثبتنا مصطلح قضية بصيغة المفرد أنا إذا فتح فعل القول على نص فمن الممكن أن تحقبه في تلك الحالة سلسة من القضايا.

يتقابل الشكلان في مستوى الحكاية . قال متبوعا بـ [إنّ] في النسق المعجمي التركيبي (I) يَحكي القول بلفظه ويستحلّه بنصّه كما قيل في مقام التلفظ الأول (الشاوش،2001) وذلك لأنّ الحكاية "ابتداء الكلام المحكيّ" "(الأستراباذي، ش. الكافية، IV : 341). أمّا النسق (II) فهو يفيد الحكاية على المعنى (الهمع، 243:II) ولعلّ أوضح تحليل للفارق بين دلالة الكسر والفتح نجده عند الأستراباذي حينما قال : "وكذا تكسر بعد القول إذا قصدت به الحكاية لا الاعتقاد الشامل للعلم والظن فإنّما تفتح إذن كما تفتح بعد الظنّ والعلم وإنّما كسرتها بعد القول بمعنى الحكاية لأنّه ابتداء الكلام المحكيّ" (شرح الكافية، IV: 341) "فالكسر علامة ابتداء الحكاية أي نقل الرسالة بحرفها والفتح علامة الاعتقاد علما وظنّا وهو بالتالي علامة التحرّر من القيود اللسانية للحكاية التي تبيح للمتكلم التصرّف في نص المنقول تقديما وتأخيرا (14)، اختصارا واستبدالا مع ما يترتب عن كلّ ذلك من تحوير ممكن مقصود أو غير مقصود لمحتوى الرسالة. فعلى سبيل المثال وقع إفقار القول في (II-2) من شحنة الانفعالية الموسومة بالقسم والتوكيد وكان ذلك نتيجة من نتائج التخلّي عن الحكاية.

لئن كانت مسؤولية المتكلم مقتصرة على النقل أي إسناد القول إلى صاحبه ورفعه إلى مصدره الأول في النسق (I) فإنّ مسؤوليته تبدو أكبر في النسق (II) وحضوره الذاتي يبدو أقوى وتصرّفه في القول يبدو حاصلا لامحالة، تدلّنا عليه[أنّ] المعرفيّة التي تلوّن فعل القول تلوينا قلبيّا فتجعله "مضمّنا معنى الظنّ" على حدّ تعبير المرادي (التوضيح ، I : 570). فالفرق بين القول والظنّ أو بين الحكاية والاعتقاد لم يعد حاصلا في هذه الحالة في مستوى المادّة المعجمية للفعل وإنّما في مستوى حركة الأداة [إنّ] لأنّ "من فتح جعل القول عاملا و[أنّ] غير محكيّة ومن كسر حكى" (المرادي، نفسه، 526). وهذا يعني بصفة صريحة أن النسق "قال إنّ..." يفيد الحكاية والنسق "قال أنّ..." لا يفيد الحكاية ويتضمّن معنى الظنّ أو الاعتقاد أي معنى وجهة النظر التي يطلق من خلالها المتكلّم أحكامه المعرفية. فهو بالتالي ليس نسقا لاحنا كما ساد في الاعتقاد الشائع عند المحدثين، وإنّما هو نسق نظاميّ علينا أن ندرك شروط

(14) يقول السيوطي" ويجوز أن يحكى على المعنى بإجماع فإذا قال زيد :"عمرو منطلق"، فلك أن تقول :قال زيد:عمرو منطلق، أو "المنطلق عمرو..." (الهمع،II : 243)

استعماله في غير الحكاية أي في معنى تعبير المتكلم عن وجهة نظره من خلال تصرفه في عبارة الكلام المنقول.

والعلاقة بين ما يمكن أن نسميه نسق الحكاية ونسق الاعتقاد تتجاوز هذا الحدّ إلى درجة استعمال [قال] بمعنى [ظنّ] مطلقا في لهجة بني سُليم (السيوطي، الهمع، II: 245). وهذا يجعلنا نتوقف عند العلاقة بين الظن والقول أو قل بين الاعتقاد عامّة والقول. فإذا سحبنا استعارة الورقة عند دي سوسير من مجال الدليل اللغوي إلى المجال المعرفيّ اللساني الخاص بالمعرفية epistemicity والوثوقية evidentiality أي بالعلاقة بين فضاء [ظنّ] وفضاء [قال] وجدنا علاقة الاعتقاد بالقول كعلاقة الوجه بالقفا. لأنّ القول تعبير عن الاعتقاد الكامن في الأذهان، والاعتقاد مضمون نفسيّ عرفانيّ متحقق في الوجود بواسطة القول (15). وإذا رمنا تمثيل العلاقة بين الاعتقاد والقول بسهم مزدوج الرأس وأثبتنا مع كل صورة ذهنية الشكل اللساني الذي يطابقها حصلنا على الشكل التالي:

اعتقاد ↔ [قول] (قال إنّ...)

[اعتقاد] ↔ قول (قال أنّ...)

شكل عددا

مثلنا الحكاية بالشكل (أ) والاعتقاد بالشكل (ب) وأثبتنا الطرف الأبرز في العلاقة بالحبر المشبع وهو ما يقابل الدائرة المشبعة عند لانقاكير (Langacker.1987) في تمثيله للظواهر اللسانية طبقا لمفهوم الإبراز profiling. ففي الحكاية أي نقل القول بنصّه يكون الطرف الأبرز هو القول ويقع تمثيله لسانيا باستعمال النسق "قال إنّ..." (بكسر الهمزة). وفي تضمين [قال] معنى الظنّ يكون طرف الاعتقاد هو الأبرز ويقع تمثيله لسانيا بالنسق المعجمي التركيبي "قال أنّ...".

(15) يستعمل [قال] للتعبير عن الراي أو الاعتقاد في اللهجة التونسية. فالمقصود من عبارة "شنوّة قولك؟ " و"أش قلت في كذا" هو " ما رأيك ؟" .

السؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان انطلاقا من الشكل (1) هو : لماذا يقع تماثل الوضعيتين العرفانيتين لسانيا في (أ) و(ب) بواسطة الفعل[قال] دون الفعل[ظنّ] ؟ الجواب كامن في العلاقة العرفانية بين القول والاعتقاد. فالقول سلوك لغوي يقتضي وجودا مسبقا للاعتقاد. والاعتقاد حالة ذهنية لا تتجلّى بالضرورة في شكل قول. ولما كان وراء كل قول اعتقاد ولم يكن كلّ اعتقاد متحققا بالضرورة في قول عبّروا بـ[قال] عن الظنّ ولم يعبّروا بـ[ظنّ] عن القول . لكنّهم في المقابل ميّزوا في مستوى القول بين الحكاية والاعتقاد أي بين نقل المتكلّم نقلا حرفيا للمعلومات وبين تصرّفه فيها حسب مقتضيات المقام وحسب وجهة نظره ومقاصده ووسموا ذلك في مستوى اللفظ بحركة الهمزة في [إنّ].

يمكن القول إذن إنّ مفهوم الحكاية ومفهوم الذاتية يتفاعلان تفاعلا عكسيا حيث تضعف الذاتية في حضور الحكاية وينحصر دور المتكلّم في تسجيل الخطاب ونقله بنصّه وتقوى الذاتية بتغييب الحكاية فينفتح المجال أمام اجتهاد المتكلم ليعبّر عن مواقفه من المعلومات التي ينقلها فيتصرّف في صياغة الخطاب المنقول. وهذا ينبّهنا إلى الدور الخطير للمتكلّم ولاستراتيجيات الخطاب التي يتبنّاها. فهو وحده في نهاية المطاف الذي يختار الحكاية أو يُعرض عنها متى لم يضطرّه المقام إلى ذلك. وهذه المراوحة بين الحكاية والعزوف عنها لا تكون مراوحة عفوية بريئة.

لكن مقاصد المتكلّم وعلاقتها باستراتيجيات الخطاب ليست موضوعا مباشرا لبحثنا. فما يعنينا تحديدا هو طبيعة الأنساق المعجمية التركيبية في حدود الجملة والتمييز بين الأنساق الحكائية والأنساق غير الحكائية. إذا بحثنا عن العناصر التمييزية في مستوى الجملة وجدنا العنصرين النحويين الأكثر إفادة في هذا الصدد هما الأداتان الإنشائيتان [إنّ] و[أنّ] وكيفية تفاعلهما مع فعل القول. فالنسق [قال إنّ ...] هو علامة الحكاية والأداة اللسانية المعلنة عن تسجيل الأقوال تسجيلا حرفيا (الشاوش، 2001). وبمجرّد استبدال [إنّ] بـ[أنّ] تتراجع الوظيفة الحكائية للنسق ويقوى هامش الذاتية في الملفوظ فيحصل بالتالي الانتقال من الوثوقية إلى المعرفية وينحوّل [قال] من فعل قول إلى فعل اعتقاد. أو قل إنّ الدلالة المعرفية تقوى في

الفعل فتنتقل إلى الواجهة في حين تضعف الدلالة الوثوقية فتتراجع إلى الخلفية لكنها لا تغيب تماما لأنها تظلّ ماثلة في الجذر وهذا ما عبّر عنه المرادي بمعنى التضمّن.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنّ دور فعل القول لا ينحصر في حمل الدلالة المعجمية وإنما يضطلع كذلك بدور هامّ ضمن التفاعل النسقي بحكم ما يرتبط به من مقولات نحوية مثل مقولة البناء. فينتج النسقان (I) و (II) بتفاعلهما مع مقولة البناء لغير الفاعل نسقيْن جديديْن (III-IV):

قيل + إنّ + قضية

قيل + أنّ + قضية

الفرق بين (III) و(IV) من ناحية و(I) و(II) من ناحية ثانية كامن في حجب فاعل القول (إبراهيم، 1995) مع ما يترتّب عنه من إضعاف لدرجة اليقين. فالقول في (III-IV) حاصلٌ والقضية محتوى القول مثبتةٌ لكنّ هوية القائل أي مصدر الحكاية قد وقع حجبها من المشهد. و يمكن زيادة في التوضيح أن نمثّل للنسقين (III- IV) بما يلي :

(III-1) وقد قيل: إنّ خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علوّ همّة وعظيم خطر..(ابن المقفع، كليلة ودمنة، 104)

(IV-1) وقد قيل أنّ خصالا ثلاثا (ثلاثا من الخصال) لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علوّ همّة وعظيم خطر..

بإمكان المتمعّن في المثالين أن يتبيّن فرقا في درجة الوثوق من المعلومات. فالنسق المشتمل على [إنّ] أكثر تمكنا لأنّ الأداة الإنشائية أمارة على نقل المحكيّ بنصّه وعلامة على إثبات معنى الحكاية في قيل رغم حجب القائل، أمّا [أنّ] في النسق (IV) فقد أضعف به معنى القول. ذلك أنّ استبدال أداة الحكاية [إنّ] بأداة الاعتقاد [أنّ] قد كان مؤدّيا بإضعاف مصدر للمعلومات وبتدخل المتكلّم متصرّفا في الخبر حسب حالته الذهنية أي حسب درجات التذكر و الاعتقاد. كلّ ذلك يضاف إلى دلالة [قيل] على أنّ المصدر الأول للحكاية مجهول.

وهو ما يُبعد المسافة بين المتكلّم ومصدر الخبر وبالتالي يضعف الوثوقية ويقوّي المعرفية بصرف النظر عن تحديد درجة اليقين.

تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ إمكانية تحوير النسق (IV) باستبدال الجذر مع المحافظة على الفاعل لغير الفاعل يجعلنا نحصل على النسقين (V) و(VI) :

يُحكى + أنّ + حكاية

يُروى+ أنّ + حكاية

يترتب عن هذا التحوير في مستوى الجذر تغير حتميّ للمكوّن[قضية] في النسق (III) و(IV) بـ [حكاية] لأنّ الفعلين يُحكى ويُروى، يتنقيان بالضرورة الموضوع [حكاية] وهو ما يعني أنّ تخصيص معنى القول في مستوى الجذر يقتضي تخصيصا أعمّ في مستوى مقول القول.

على أنّ الاختلاف بين هذه الأنساق يتجاوز تخصيص دلالة الرأس الفعلي والسمات الانتقالية للموضوع مقول القول إلى اختلاف في طبيعة القيمة الوثوقية. فتنقل المعلومات على سبيل الحكاية يجعل مصدر الخبر هو الذاكرة الجماعية وليس مجرّد فرد من أفراد المجموعة اللسانية.

يمكن أن نتمادى أكثر في تخصيص النسق الوثوقيّ باستبدال حكى و روى بـ زعم فنحصل على النسق (VII):

VII – زعموا+ أنّ + حكاية (مثليّة)

VII -1 زعموا أنّ ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلّق على شجرة ... (ابن المقفع، كليلة ودمنة،107).

إذا تأمّلنا عناصر النسق (VII) ونظرنا في وجوه تفاعلها وجدنا أنّ الفعل زعم من أفعال القلوب المعبّرة عن الرجحان أي عن درجة ضعيفة من اليقين. وهو ما يبدو لنا منسجما مع الحكايات المثلية المروية على ألسنة البهيمة والطير. أمّا الضمير اللاإحاليّ (إبراهيم، 1995) فقد ورد بصيغة الجمع [هم] لأنه يحيل احتمالا على المجموعة الثقافية. وهذا من شأنه أن

يجعل الفعل المبني للمعلوم مع الضمير اللاشخصي "مرادفا" للفعل المبني لغير الفاعل من حيث الإحالة على مصدر مجهول الهوية لكنه مختلف من حيث درجة تخصيص المفعول به إذ يحيل على جنس معيّن من الحكايات.

إذن، ما يميّز به النسقان [يُحكى أنّ] و[زعموا أنّ] من بين الأنساق المصدّرة بأفعال القول هو اقترانهما بأنواع من الوثوقية السردية ذات الطابع الثقافي والأدبي الأجناسي الخاص. فالنسق الأول يُعلن عن بدء نص حكائي عامّ والثاني يعلن عن جنس متفرّع عنه هو جنس الحكاية المثلية. هذه العبارات الخاصة هي من قبيل القوالب النمطية stereotypes أو الوسمات الثقافية مثل: "كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان" أو "كان يا ما كان" ...وهي تنتمي إلى ظاهرة وثوقية ليست خاصة بالعربية وإنّما هي موجودة في بعض اللغات الأجنبية مثل البلغارية (Lazard,2000 :216).

4 – 3. درجات الوثوقية غير المباشرة :

سبقت الإشارة (§ 1.4) إلى النسق *إنّ+ج اسمية* باعتباره واسما للوثوقية المباشرة. ولتقريب الصورة أكثر نقارن بين المثالين الموالين:

(18) إنّي وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل.

(19) إنّني هنا.

يمكن الزعم أنّ [إنّ] الإنبانية قرينة لفظية على غياب فعل القول من النسق المعجمي التركيبي. لكنّنا نستطيع القول إنّ معنى فعل القول موجود في البنية الدلالية وهو منحزل في أداة التوكيد [إنّ] إذا سلّمنا بأنّها من حروف المعاني وبأنّ معناها هو "أؤكد".

لقد تردّد بالمر (1986) في تصنيف التأكيد ضمن الظواهر الخطابية العائمة أو ضمن ما سمّاه "المعاني الجهية 'القوية' التي تعبّر عن ثقة أو معرفة تامّة بما قيل" (16). فالمتكلّم عندما

(16) Emphatic affirmation maybe treated [ ] as a kind of "strong" epistemic modality expressing confidence in or knowledge of what is being said (Palmer,1986:92; cited by Ormelius-Sandblom,1996:104).

يثبت وضعا ويؤكده، يكون قد جعل نفسه مصدرا مباشرا للإفادة .وفي المقابل، عندما يحكي قولا عن غيره يكون قد أقرّ استلزاما بكونه مصدرا غير مباشر للمعلومات. ولئن عبّر المثال (19) عن الوثوق المباشر فإن الأمر مختلف في (18) لأنه يمكن تقدير فعل القول بالنسبة إلى بيت شهير منسوب إلى المعري. و تقدير الحكاية هنا هو من باب الدور الناتج عن تقدير متكلّم آخر يخبر عن المتكلّم المباشر وهو المعري. لذلك يلجأ من الطبيعيّ في هذه الحالة تأويل الحذف وتصدير البيت المعروف بعبارة "قال المعري".

إن صحّ هذا اعتبرنا [إنّ] حاملة لمعنى الوثوق المباشر ذلك أنّ المتكلم يخبر مباشرة عن وضع يدركه بصفة شخصية ويلتزم بتقديم نفسه مصدرا للمعلومات المتصلة به. هكذا، إذن، كلّما قدّرنا متكلّما جديدا ثمّ أظهرناه في البنية انزاح المتكلم الأول عن موضع الصدارة وفقد الحيازة المباشرة لمصدر الإفادة وأصبح الوثوق غير مباشر. على هذا النحو، يظلّ التقابل الرئيسيّ بين الوثوق المباشر وغير المباشر ماثلا في التقابل بين النسقين: ∅ *إنّ*+ ج و *قال إنّ*+ ج .أي بين [إنّ] غير مسبوقة بفعل القول دالّة على الوثوقية المباشرة و[إنّ] مسبوقة بفعل القول الدالّة على الوثوقية غير المباشرة .

لئن كان المتكلم في النسق (VII-I) حاضرا بصفة ضمنية في الخطاب يمثل حلقة الوصل بين المخاطب/ السامع من ناحية ومصدر الخبر من ناحية ثانية ،فإنه لا يكون بالضرورة الحلقة الوحيدة وإنما قد يوصل بحلقة أخرى أو حلقات متتابعة حسب قائمة السند فتصبح الوثوقية غير المباشرة درجات تقبل الترتيب حسب عدد الرواة وإن ظلّ المتكلم وحده مسؤولا عمّا يُروى و عن عدد الرواة وهوياتهم.

يتكوّن نسق الوثوقية غير المباشرة — عادة– من الفعلين حدّث وقال مع قائمة السند التي تضمّ طرفا واحدا على الأقل. ويشير المتكلّم إلى الحلقة الأخيرة في قائمة الرواة ولا يشغل محلّ الفاعل الاسمُ الذي يحيل على المتكلم وإنما يشغل محلّ المفعول وهذا ما يجسّمه النسق (VIII):

(VIII) حدّثـ(ني) + سند + قال + نص

وضعنا في (VIII) ضمير المتكلم بين قوسين لأنّ تعميمه غير إجباري ولأنّ حذفه يعدّ من باب الحذف اللفظي لعنصر دلالي حاضر في بنية الخطاب طبقا للمتعارف عليه في البنية النمطية للرواية. بل لعلّ حذفه أبلغ في بعض السياقات من قبيل ما نجده في عنوان كتاب المسعدي: *حدّث أبو هريرة قال*. هو أبلغ لأنّ المتكلّم معروف بداهة، ولأنّه لا يقول: *حدّث فلان* إلا راو. والحذف أيضا في نفس المثال (أي عنوان كتاب المسعدي) يشمل المحدّث به وهو كذلك معروف لا يكون سوى نص الكتاب. وقد تتسع دائرة المحذوفات لتشمل أيضا الفعل [قال] في (VIII -1):

(VIII -1) حدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العميثل مولى العباس بن محمد: تكاذب أعرابيان ...(المبرد، الكامل، 2: 435)

وهذا أيضا من باب حذف المزاد، لأنّ المحدّث بالضرورة قائل. وفي مقابل هذا الحذف يظهر في البنية النحوية عنصر جديد هو حرف الجرّ [عن]. وفي ظهوره دليل على الخروج من دائرة الراوي الأوحد إلى الحلقة الأولى من سلسلة الرواة. وبذلك يتأخّر المتكلم درجة ضمن سلسلة الرواة. وفي تكرار[عن] علامة على تعدّد الرواة بتعدّد حرف الجر إلا واحدا هو الراوي قبل الأخير أي المحدّث المباشر للمتكلم .وبالتالي كلّما تكررت العنعنة زاد عدد الرواة واتسعت المسافة بين المتكلم الأخير باعتباره الكاتب /الملفظ و المتكلم الأول باعتباره المصدر الأصلي للخبر. وفي مثل هذه الحالات يكون نسق الحكاية غير المباشرة على النحو التالي:

(IX) حدّث(في) + فلان عن فلان ... عن فلان + قال + نص

يمكن أن نمثل لهذا النسق بالشاهد الموالي من طوق الحمامة:

(IX-1) وحدثنا أحمد بن محمد عن أحمد بن مطرّف عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه عن مالك عن سلمة بن صفوان الزرقي عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء. (174)

من الثابت إذن أنّ حرف الجر [عن] هو واسم نحوي من ضمن واسمات الوثوقية غير المباشرة. و أبرز خصائصها الحكاية عن أكثر من راو. لكن تجدر الإشارة إلى حالة لعلّها

الوحيدة التي يظهر فيها [عن] ويجوز فيها انتساء الملفوظ إلى الوثوقية المباشرة. نعني بذلك النسق المحسي التركيبي الذي يتقارن فيه إحاليًا ضمير المتكلم مع ضمير الراوي:

(2-IX)... وعنّي أخبرك أيّ أحد من ذُهبي بهذه الفادحة.(ابن حزم، طوق الحمامة،151).

إذا تأملنا مقول القول وجدنا التقارن الإحالي ثلاثيّ الأطراف يتكرّر بموجبه ضمير المتكلم في ثلاثة مواضع إعرابية ويضطلع بثلاثة أدوار دلالية - تداولية مختلفة هي على التوالي: دور المتكلم والراوي والمشارك في الوضع. وهذا من شأنه مبدئيًا أن يرفع من درجة اليقين ، إذا سلّمنا طبعا بأنّ الراوي من الثقات . أمّا إذا لم نسلّم بذلك فمن الممكن أن تنقلب الآية ويصبح التقارن الإحاليّ مضعفا من درجة اليقين. هذا النوع من الوثوقية التي يعوّل فيها المتكلم على تجربته الشخصية لها وسمات وثوقية خاصة بها في بعض اللغات مثل التبيتية Tebetan . والباحثة فوكوركوفا (Vokurkova :117) تطلق عليها مصطلح الوثوقيات الذاتية egoforic evidentials. وهو ما يشرّع في تقدير قاريت Garrett (2001) للإقرار بوجود مقولة وثوقية فرعية يسميها الوثوقية الذاتية ego evidentiality.

لكنّ السؤال هو : كيف نفسّر ظهور حرف الفصل "عن" في سياقات معجمية تركيبية تنتمي إلى الوثوقية الذاتية من قبيل (2-IX) وهي أنساق تبدو لأول وهلة أقرب إلى الوثوقية المباشرة ؟ يمكن طبعا أن نفسّر هذا بالفاصل الزمني بين لحظة الحدوث ولحظة الرواية. فهذه المسافة الزمانية تستدعي الحكاية حتى لكأنّ الراوي شخص آخر غير المشارك في الفعل وغير المتكلم في مقام التلفظ. هذا الفاصل بين زمان الحدوث وزمان الإخبار من شأنه أن يحطّ من النسق في (2-IX) درجة عن أعلى درجات الوثوق المباشر الذي يشهد فيه المتكلم الحالة أو الحدث فينقله فور وقوعه أي في فترة زمنية وجيزة لا يُخشى من تأثيرها على الذاكرة وبالتالي لا يخشى على دقة نقل المعلومات. الوثوقية إذن في المثال (2-IX) حالة وسطى تقع في منزلة بين المنزلتين. هي حالة متاخمة لحدود الوثوقية غير المباشر بحكم وجود العنصر النحوي [عن] الدالّ على النقل. وهي قريبة من الوثوق المباشر بحكم التقارن الإحالي بين المشارك والمتكلم والراوي الناقل للخبر من باب استحضار الذكرى وتشغيل الذاكرة طويلة المدى.

حاولنا أن نتابع أوجه تفاعل [قال] وأخواتها مع الأداتين الإنشائيتين [إنّ] و[أنّ] وعلاقة ذلك بالمعاني الوثوقية فحوّلنا [قال] من المعلوم إلى المجهول واستبدلنا *قال* بـ حكى وزعم... ورأينا ما يترتب عن حذف فعل القول مع الإبقاء على [إنّ] وتأثير كلّ ذلك على وسم المعاني الوثوقية.

4 – 4. الأنساق الوثوقية المصدّرة بأفعال عرفانية :

لم نتقيّد بالقائمة شبه المغلقة لأفعال القلوب كما ضبطها النحاة، فأطلقنا على مجموعة الأفعال التي تعنينا في هذا الصدد مصطلح "الأفعال العرفانية" لأنّ هذه الأفعال متى تفاعلت مع بعض العناصر النحوية حملت دلالة وثوقية مباشرة. هذه العناصر النحوية من أبرزها ضمير المتكلم والأداتان الإنشائيتان *أنّ/ إنّ*. وعلى هذا يمكن رسم نسق وثوقيّ مع كلّ أداة:

(X) إنّ+ فعل عرفاني + متكلم + وضع (حدث /قضية)

(X) فعل عرفاني + متكلم + أنّ + وضع (حدث /قضية)

يمكن تمثيل النسق (X) بالشاهد (X-1):

(X-1) وإنّي لأعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القوّاد، وقد بلغ بها حبّ فتى من إخواني جدًا من أبناء الكتّاب مبلغ هيجان المرار الأسود...(ابن حزم، طوق الحمامة، 168.)

يمثل الراوي في هذا الشاهد مصدرا للمعلومات وبنية الخبر في (X-1) تشمل إضافة إلى [إنّ] الوثوقية وضمير المتكلم والفعل [عرف] لام التوكيد فتزيد من درجة الإثبات وترفع من درجة اليقين. وبالتالي يمكن اعتبار الوثوقية المباشرة ملازمة للدرجات العليا من اليقين لأنّ الراوي في الشاهد(X-1) قد عرف الجارية وهذا مستلزم شهوده حالة الضنى التي عاشتها .

أمّا النسق (XI) فيمكن تمثيله بشاهدين (XI -1-2):

(XI -1) وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّي لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى أنّه لم يكن له قلب ولا أذنان ...(كليلة ودمنة، 216)

(2- XI) وأنا أعلم أنه سينكر عليّ بعض المتعصبين تأليفي... (ابن حزم، طوق الحمامة، 235)

في الشاهد الأول فعلان قلبيّان فعل يقين [علم] و فعل رجحان [زعم] وكلاهما ينتمي إلى النسق (XI) وهما يحملان دلالة جهية معرفية أمّا دلالتهما التوثقية فتبدو ضعيفة مقارنة بالمثال (2-XI) حيث يكتمل النسق بضمير المتكلم باعتباره مصدر الإفادة. بل إنّ ضمير المتكلم تكرر مرتين مرّة في محل المسند إليه المبتدأ ومرّة في محل المسند إليه الفاعل. وهذا يكشف عن دور الضمائر والمؤكدات في تحديد الخصائص التوثقية. ولا شكّ أنّ حذف الضمير الأول [أنا] سيحط من درجة اليقين. وإن كان استعمال الفعل [علم] يدلّ في كلتا الحالتين وضمن نفس النسق على درجة كبيرة من اليقين، مقارنة مثلا بالفعل [أحد] ...أو مقارنة بسياق مماثل (3: XI) مصدّر كذلك بفعل اليقين [علم]:

(3:XI) وقد علمنا أنّ سرّ التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال (ابن حزم، طوق، 30).

لئن ضمّ النسق التركيبي نفس العناصر أي {علم + ضمير المتكلم +أنّ}، فإنّ [قد] التحقيقية لا ترقى إلى قيمة التكرار اللفظي لضمير المتكلم في (2- XI).

مثل هذه الاعتبارات السياقية لا يجب إغفالها إذا رمنا وصفا دقيقا للوسمات التوثقية بما في ذلك المؤكدات وتفاعلها مع الجهة المعرفية. ولا يجب كذلك إغفال للعطيات التداولية في وصف هذه المقولة وهو ما يمكن- على سبيل المثال - توضيحه بمثالين للفعل العرفاني [يبدو]:

(20) يبدو أنّ السماء ستمطر. (السماء ملبّدة بالغيوم والبرق يلمع في الأفق والهواء القادم رطب و بارد.)

(21) يبدو أنّه سيفوز في الانتخابات.

يمكن اعتبار الفعل [يبدو] وثوقيا في (20) معرفيّا في (21)، هو وثوقي استلزامي في الحالة الأولى لأنّ المتكلم اعتمد على الحواس في نقل المعلومة وهو في السياق الثاني معرفيّ لأنّه رجّح حكما تبدو مصادره غير واضحة.

من خلال المثالين (20-21) يمكن أن نجزم بأهمية السياق في التمييز بين الوثوقية والمعرفية أو بدرجة كلّ منهما إذا كانت دلالة النسق التركيبي المعجمي وثوقية معرفية أو معرفية وثوقية. وهذا التمازج الممكن بين الدلالتين راجع إلى أنّ الوثوقية يمكن أن تقوّي درجة اليقين في الكثير من السياقات ويمكن أن يكون الكشف عن مصدر المعلومات غاية في ذاته لا يخدم بالضرورة درجة الحكم المعرفي (تناولنا مسألة ضبابية الحدود بين المقولتين في بحث خصصناه لمقولة المعاني الجهية).

هذه الملاحظة لا تنسحب فقط على الأفعال العرفانية وهي تشمل أيضا أفعال القول التي تبدو، في ظاهرها حسب الأنساق التي حللناها سابقا، ذات دلالة وثوقية خالصة. وما نعنيه هو أنّ أفعال القول ليست بمنأى عن التأثيرات المقاميّة التي تحوّل دلالتها الوثوقية إلى دلالة معرفيّة. أبرز مثال على ذلك نجده في ما يمكن تسميته بالاستعمال الظنّي لفعل القول في حالة إسناده للمجهول أو للضمير المبهم غير الإحالي في عبارات من نوع: *قيل، يقولون، هم قالوا، "ما قالوا [دت]* ، *يقولوا[دت]*.. .فلا ريب أنّ فعل القول في هذه العبارات مُضعف لدرجة اليقين وليس دالا على مصدر الخبر. فالمتكلّم لا يتحمّل مسؤولية ما ينقل وهذا ما يستلزم الشك من قبل المتلقي ([17]).

5 – ملاحظات ختامية :

حاولنا أن نثبت في هذا البحث وجود مقولة دلالية في العربية هي مقولة الجهة الوثوقية. كما بيّنا أنّ للتصوّر اللساني جديد لكنّ نظام وسمه كامن في اللغة. ولتقديم صورة واضحة عن هذه المقولة حاولنا استقراء جانب هام من المعطيات اللسانية قصد التعرّف على منظومة القيم الوثوقية. وما كان لنا أن نتوصّل إلى طرح هذه المقاربة لولا اطلاعنا على بعض الدراسات التنميطية التي وصفت الظاهرة في لغات شتى تنتمي إلى أسر لغوية مختلفة أمرندية

(17) من أمثلة ذلك في اللغة الإسبانية العنصر النحوي dizque ومعناه (يقولون أن) (انظر مثلا Aikhenvald, 2004 :142).

وأسيوية. ولولا تنبّهنا إلى آليات التنسيق patternings في اللغة العربية ودورها الهام في البناء اللساني لاستحال علينا التعرّف على المعاني الجهية بما فيها الجهة الوثوقية.

من نتائج هذا البحث إذن- إضافة إلى إثبات وجود المقولة – تحديد خصائص بناء لفظيا والتعرّف على ملامح النظام الوثوقي في العربية وتبويبه ضمن أصناف الأنظمة الوثوقية التي ضبطها التنميطيّون. ولعلّه من المفيد أن نلخّص النتائج المتعلقة بالنظام الوثوقي في مستوى اللفظ وفي مستوى القيم التي يحيل عليها.

إذا انطلقنا من تصنيف الأنظمة الوثوقية حسب نوع الوسائل اللسانية وجدنا العربية لا تعتمد على الوسائل المعجمية فقط مثل اللغات الرومانية والجرمانية، وهي لا تعتمد على الوسائل النحوية فقط مثل اللواصق والأدوات في الكثير من اللغات الأمرندية والآسيوية. ولا نزعم أنّ للعربية نظام وسم خاصّ يجمع الوحدات المعجمية والأدوات النحوية في أنساق مشتركة تتضافر عناصرها في إفادة المعنى الوثوقي. وتلك الأنساق تتنوّع في ضوء ما يطرأ عليها من متغيّرات فتتنوّع بذلك القيم الوثوقية.

إنّ وصف الأنساق باعتبارها آليات لسانية متشعّبة تشتغل بدقّة متناهية يعتبر خطوة هامّة في اتجاه تجويد التحليل اللساني وتجاوز المناهج اللسانية التقليدية التي تفصل بين المعجم والتركيب فصلا غير طبيعي. لذلك نعتبر التعامل مع المفردات معزولة عن التركيب ومع العلاقات النحوية بين المحلات الإعرابية مقرفة من مادتها المعجمية منهجا وصفيّا تبسيطيا يمكن أن يقرّب ملامح النظام من المتعلمين المبتدئين، لكنّه لا يمكن أن يكون المنهج المناسب للباحثين لأنّه لن يقدّم لهم سوى صورة ضبابية مجتزأة لا تعكس جوانب كثيرة هامّة من اشتغال النظام اللغوي.

عرضنا في بداية المقال أصنافية أيخنفالد ضمن مقاربتها التنميطية للأنظمة الوثوقية النحوية .وكانت غايتنا من ذلك التعريف بالظاهرة في مختلف اللغات وتقريب هذا المتصوّر الجديد من القارئ العربيّ . غير أنّه من المفيد في ختام هذا الفصل أن نحدّد خصائص النظام الوثوقي في العربية في ضوء تلك الأصنافية.

يبدو لنا أنّ النظام (أ3) في أصنافية أيخنفالد هو الأقرب إلى العربية. فهو نظام ثنائي الأطراف تتقابل فيه الحكاية أو الرواية باعتبارها القيمة الأبرز مع سائر القيم الوثوقية الأخرى الممكنة في العربية. وهذا يعني أن النسق التركيبي للمحسي [قال +إنّ...] يعتبر أصلا وبقية الأنساق الأخرى فرع عليه.

يتقابل نسق الحكاية ثنائيا مع جملة من الأنساق تتولّد عن كل زوج قيمة وثوقية. وأهمّ الأنساق المتقابلة نسوقها في اللوحة الموالية:

الزوج	النسق الأصلي	القيمة	النسق الفرعي	القيمة
1)	قال+ إنّ...	الحكاية باللفظ	قال+أنّ...	الحكاية بالمعنى
2)	قال+ إنّ...	وثوقية غير مباشرة	؟ + إنّ+ج اسمية	وثوقية مباشرة
3)	قال+ إنّ...	وثوقية انسانية	يُحكى +أنّ... زعموا +أنّ...	وثوقية ثقافية
4)	قال+إنّ...	وثوقية يقينية	قيل+ إنّ...	وثوقية غير يقينية
5)	عن فلان ...قال ...	وثوقية موضوعية	وحتى أخبرك...	وثوقية ذاتية

تضمّنت اللوحة خمسة أزواج نعتبرها ممثلة للنظام الوثوقي في العربية:

- **الزوج الأول** (1) يتقابل نسقيا في مستوى الأداتين إنّ/ أنّ للتعبير عن الحكاية باللفظ أي نقل للملفوظ بنصه دونما تصرّف، والحكاية بالمعنى أي نقل مضمون القول مع التصرف في لفظه. التقابل حاصل إذن في مستوى صورة الملفوظ بعد عملية النقل. في الحالة الأولى يفترض أنّه لم يتأثر بعملية النقل لأنّ المتكلم لم يتدخل أو على الأقل لا يوجد واسم لفظي يدلّ على تدخله. وفي الحالة الثانية يوجد واسم لفظي ينبؤنا بحصول التدخل في نص المقول والتصرف في لفظه على الأقل.

وهنا يعتبر هامش المناورة بالنسبة إلى الناقل لا حصر له لأنّه لا مجال للحديث عن تصرّف في اللفظ لا تأثير له في المعنى أي في المعلومات المنقولة. فمن أهمّ إضافات اللسانيات

العرفانية في هذا الصدد اعتبارها اللفظ صياغة رمزية يفضي كلّ تغيير فيها إلى تغيير في مستوى التصوّر. وبالتالي فإنّ كلّ تغيير في الألفاظ بالزيادة أو بالحذف أو بتغيير الموقع أو الصيغة... لا بدّ له من غاية في نفس المتكلّم المتصرّف في ذلك القول.

الزوج (2): التقابل هنا حاصل في مستوى فعل القول. فيكون حضوره في النسق دلالة معجمية صريحة على الحكاية أي على الوثوقية غير المباشرة. ويكون حذفه مع بقاء [إنّ] التقريرية علامة على حلول المتكلم محلّ فاعل القول وتقديم نفسه مصدرا للإفادة. وهذا بناء على اعتبار النحاة [إنّ] شبه فعلٍ معناه 'حققت وأكدت' (الأستراباذي، IV، ش الكافية:331). لذلك اعتبرنا القول المصدّر بإنّ غير مسبوقة بفعل القول نسقا دالا على الوثوقية المباشرة.

غير أنّ التقابل في حقيقة الأمر ليس في مستوى الفعل وإنّما في مستوى فاعل الفعل باعتباره مصدرا للإفادة. فحذف الفعل [قال] يترتب عنه بالضرورة حذف فاعله المستكنّ فيه كما يقول الأستراباذي، ويترتب عنه حلول الفاعل المستكنّ في شبه الفعل [إنّ] المحيل مقاميّا على المتكلّم. وفي كلّ هذا دليل على أنّ القيمة المزدوجة التي تتحصّل من هذا الزوج النسقي تتمثل في: الوثوقية غير المباشرة و الوثوقية المباشرة.

الزوج 3: يبرز التقابل أولا في المستوى المعجمي بين {قال} في النسق الأصل و{يُحكى، يُروى، زعموا} في النسق المقابل. والتقابل هنا حاصل بين {قال} ،باعتباره فعلا قوليّا طرازيا يدلّ على القول عامّة، وبين مجموعة من أخواته تتميّز بثرائها وبالتالي بدلالتها على أنواع مخصوصة من القول.فإذا كان المقول بعد [قال] من جنس الخبر أو من جنس الكلام المنقول عامّة فهو بعد [يحكى] و[يروى] من جنس أخصّ هو الحكايات الشعبية ،وهو بعد [زعموا] من جنس أكثر خصوصية هو جنس الحكاية المثليّة.

التقابل الثاني بين النسقين في (3) يبدو أقلّ بروزا لكنه ليس أقلّ أهمية. نعني بذلك التقابل بين الأداتين [إنّ] و[أنّ] أي بين الحكاية باللفظ والحكاية على المعنى. إن صحّ هذا وسلّمنا به فهو يقودنا في الحالة الثانية أي نقل الحكايات إلى حقيقة أنّ نقل الحكاية ليس

نقلا باللفظ ضرورة. وهذا قد يبدو واقعيا لأنّ سرد حكايات ألف ليلة وليلة بألفاظها إذا افترضنا لها صورة لفظية معينة أمر يتجاوز حدود الذاكرة البشرية. لذلك نعتقد أنّ رواية الحكايات يكون على الأقلّ مزيجا بين حكاية اللفظ و حكاية المعنى.

بناء على هذه المعطيات، اعتبرنا التقابل الحاصل في (3) على مستوى المنقول من جنس التقابل بين اللساني التداولي في الطرف الأول والأدبي الثقافي في الطرف الثاني.

في الزوج (4) تقابل صيغيّ بين ما يعرف بالمعلوم والمجهول. ورغم احتراز اللسانيين على مصطلح المجهول (ابراهيم، 1995) فإنّه يبدو مناسبا في هذا المقام لأنّ [قيل] مبنيّ لجهل المتكلّم أو عدم تأكده من مصدر القول وفي هذا تراجع في سلّم اليقين. وهو ما يعني أنّ التقابل بين النسقين ليس تقابلا وثوقيّا خالصا، وإنّما هو تقابل اجتمعت فيه الجهة الوثوقية إلى الجهة المعرفية.

الزوج 5 : يشترك طرفا المقابلة في "العنعنة" ويختلفان في هوية المنقول عنه. في الطرف الأصليّ يكون الناقل غير المنقول عنه وهذا ما جعلنا نطلق عليه مصطلح الوثوقية "الموضوعية". وفي الطرف المقابل يتقارن الناقل والمنقول عنه إحاليّا. والمثال الطرازي الذي اخترناه لتمثيل هذه المقولة مستمدّ من إخبار ابن حزم عن تجاربه الذاتية في طوق الحمامة. وهذه الظاهرة تبدو أكثر نظامية في بعض اللغات التبتية Vokurkova, 2008 :117 Tibetan ()، غير أنّ هذه الظاهرة لم ترق إلى مستوى المقولة الثقافية في النسق المنتج للملفوظات من نوع : "وعني أخبرك" لأنه لم يتكرس إلا في ممارسات إبداعية ضيقة جدّا ولم يعتم بشكل يجعله يكتسب المكانة النمطية اللازمة. وبالتالي اعتبرنا الزوج (5) يقوم على التقابل بين الذاتي والموضوعي لأنّ سمة الذاتية هي الأبرز وإن تفاعلت مع بعض الخصائص الإبداعية مصدرها شهرة كتاب ابن حزم.

ما يجمع بين الأنساق المتقابلة في الجدول السابق هو هيمنة سمة الحكاية على جميع الأزواج سواء بالغياب أو بالحضور في صور مختلفة. وهذا في تقديرنا من الرواسب اللسانية والثقافية للتقاليد الشفاهية الحاضّة التي عرفها المجتمع العربي حقبا طويلة من تاريخه سواء قبل ظهور الكتابة أو بالتوازي مع وجودها المحتشم. فهذه الممارسة اللسانية الشفاهية هي التي

أدت إلى تشكّل النسق الوثوقي *فعال إنّ* باعتباره محور النظام الوثوقي ومن حوله بقية الأنساق الفرعية المتكلسة أو شبه المتكلّسة. وهي جميعها نتاج لنفس التقاليد الشفاهية سواء في مجال التواصل اليومي أو في مجال الأدب الشفاهي من قبيل الحكايات والأخبار.

عبد العزيز المسعودي

المصادر والمراجع

1 - المصادر

- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق صلاح الدين الهاشمي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس.
- ابن المقفع، عبد الله، آثار ابن المقفع، دار مكتبة الحياة، بيروت 1978.
- المبرد، الكامل في اللغة والأدب مج 2 .

2 - المراجع العربية :

- إبراهيم، أحمد : 1995: نظرية الحجب، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب منوبة.
- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.
- الشاوش، محمد، 2001 : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة تونس المؤسسة العربية للتوزيع بيروت.
- الشريف، محمد صلاح الدين، 2002: الشرط والإنشاء النحوي للكون، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس.
- ميلاد خالد، 2001: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة لجوبة تداولية ،جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع تونس.

3 - المراجع الأجنبية

- Aikhenvald, A. 2004 : Evidentiality,Oxford University Press.
- Aikhenvald, A. Dixon R.M., 2003: Studies in Evidentiality, John Benjamins.

- Givon,T. 2001: Syntax I, John Benjamins.
- Groenemeyer, C. 1997: Evidentiality in Lituanian, Lund University, Department of Linguistics, Working papers 46, 93-112.
- Johanson, L. & Utas ,B. Edotors,2000 : Evidentials, Turkic, Iranian and Neibouring Languages, Mouton de Gruyter.
- Macready F. 2010 : Evidential Universals, in Peterson T. & Sauerland U : Ed. Evidence from Evidentials. UBCWPL, Vol.28.
- Faller, M.T, 2002 : Semantics and Pragmatics of Evidentials in Cuzco Quechua, Stanford University.
- Frawley, William ; Sarah Mill, Ischenroeder, Nguyen Thao,2006:The expression of Modality, Mouton de Gruyter.
- Garrett, E. John, 2001: Evidentiality and assertion in Tibetan, University of California ,Los Angeles.
- Lazard,G. 2000 :Le mediatif :Considérations théoriques et application à l'iranien, in Lars Johanson and Bo Utas eds. Evidentials, Turkic, Iranien an Neibouring Languages. Mouton de Gruyter.
- Palmer,F.R 2001: Mood and Modality. Cambridge University Press.
- Nuyts,Jan, 2006: Overview and Linguistic issues, in Frawley & al. (editors).
- Valenzuela,P. 2003: Evidentiality in Shipibo-Konibo, with a comparative overview of the category in panoan, in Aikhenvald, A. Dixon R.M., 2003: Studies in Evidentiality, John Benjamins.
-Vokurkova, Zuzana, 2008: Epistemic Modalities in Spoken Standard Tibetan, Thèse de Doctorat , Paris 8.

جامعة منوبة
كلية الآداب
والفنون والإنسانيات

وحدة البحث
"المصطلح الدلالي"

أعمال الندوة المهداة

إلى روح الأستاذ

عبد الله صولة

الدّلالة
النظريات والتطبيقات

جمع النصوص وراجعها وقدّم لها:

خالد ميلاد